ذئبة الجبل

نور الدين جلال

النداهة ذئبة الجبل

لا يوجد اخطر من الذئبة عندما تفقد اطفالها

****

في البداية أريد منك أن تجلس منفرداً في هدوء تام بعيداً عن الضوضاء، لا تجعل شيئاً يشتت انتباهك وتركيزك؛ لأني سآخذك في رحلة إلى عالم لم تعرفه من قبل، رحلة ستجعلك منبهراً بكل ما تراه فيها، سأخبرك أشياءً لن يخبرك عنها أحد شيئاً، وأقول لك أسراراً ما كان ينبغي على من مثلك أن يعرفها، ولكن قد آن الآون أن تعرفها الآن..

دعني أخبرك أمراً هاماً، أنا لن أستخف بعقلك أبداً؛ لأنني أعرف أنك ذكياً، تستطيع أن تميز بعقلك الجبار بين الأشياء التي تستحق والأشياء التافهة، لقد خُلِقتَ بعقل ناقد واع، يستطيع نقد كل شيء وتوجيهه إلى الصواب، لذلك أنت تقرأ هذه القصة التي لم تقرأ مثلها من قبل، ولكي تقرأها كما ينبغي لك أن تقرأها، عليك أن تجلس معي على انفراد، لأن ما ستعلمه لا يجب لغيرك أن

يعلمه..

أعلم أنك تمل سريعاً؛ لذلك لن أطيل عليك، ولكي أجعلك تستمتع بالقصة سنلعب لعبة تعلمتها من أحد أساتذتي، سنلعبها أنا وأنت فقط، ولن يُشاركنا أحد فيها، سألقي أمامك في بداية كل جزء مجموعة من الأوراق، وعليك أنت تنظر إليها جيداً، وعليك أن تهتم بالترتيب الذي وضعته أنا لهذه الأوراق؛ لأنها ستسهل عليك أحداث هذه القصة الملعونة... نعم الملعونة أنت لم تخطئ القراءة، تسألني لماذا ملعونة؟ ومن الذي لعنها؟ أقول لك لا تضيع الوقت في الأسئلة، كل ما عليك أن تجلس منفرداً وتنظر جيداً للأوراق الثلاثة التي سأضعها أمامك الآن..

النداهة.....

أمامك الآن ثلاثة أوراق:

الأولى: امرأة ثلاثينية علي وجهها بقع دم تجلس بين جثتين على الأرض

الثانية: صورة نهر كبير ممتلئ بالرجال.

الثالثة: نفس المرأة ترتدي فروة ذئب على كتفها وخلفها جبل كبير.

أنت الآن كونت صورة مختصرة في عقلك عن الحكاية ألم أقل لك أنك ذكياً؟

تعالى معي إلى تلك القرية أريدك أن تتعرف على هؤلاء الأشخاص، لا تخف فلن يرانا ولن يسمعنا أحد أبدا... اسمح لي أن أقدم لك السيدة (شمايل) امرأة في غاية الجمال كما تراها هي في عمرها الحادي والثلاثين، وهؤلاء هن بناتها الصغيرتين.

من أين علمت؟ سأخبرك بعد قليل لا تتعجل.

أنت الآن تتجول معي حيث شيءنا ولا يرانا أحد ولا يسمعنا أحد، وما ينبغي لأحد أن يرانا أو يسمعنا.. سيمر علينا الزمان أعوام وأعوام ونحن كما نحن ولن نشعر بها.. لا تخف سوف أعيدك إلى ما كنت عليه...والان لنبدأ الحكاية

* الصعيد الجواني يناير ١٩٥٢ قبل قيام ثورة يوليو *

على حدود ارض كبيرة يعمل بها الفلاحون بجني المحاصيل للحصول على أجرهم اليومي من صاحبها.. يوجد فتاتين احداهما في عمر ١٥ عاما والأخرى تقاربها في العمر يظهر قرب اكتمال نضوجهم من شكلهم وملامحهم التي تشبه والدتهم حيث البشرة البيضاء والعيون الزرقاء والجسد المتناسق اقتربوا من والدتهم التي تعمل في الأرض مع الفلاحين حينها لاحظ

اقترابهم صديقه والدتهم التي تعمل معها - عديله - ثم قالت بعد ما التفتت لوالدتهم:

- بناتك الجمر چم يا شمايل.

شمايل: هما فين الجمر دول يا عديلة يچو ايه دول چنب بجية بنات البلد

عديلة: لاااة يا اختي بناتك جمرات ومفيش ف البلد كلاتها ف چمالهم وهما يعني هيچبوة من برة ما امهم تجول للقمر جوم وانا اجعد مطرحك لولاش بس الشجا اللي انتي فيه

شمايل: طب فضيها سيرة معيزاش الحديت دية جدام البنيتة معيزاش افتح عينهم

عديلة: لازمن تفتحي عينهم البينتة كبروا وخراط البنات خرطهم جبل الاوان وجريب لازمن تچوزيهم دة الف مين يتمناهم

شمايل: علي ايه يا حسرة دة احنا منحتكمش علي جرش ساغ ويدوب بنا كل يوم بيومه دني لو منزلتش الارض وسط الانفار اشتغل مهن الجيش ناكل واني مجدراش علي شوار البنات دة احنا بنجضي عشانا نوم.

عديلة: يا خايبة شوفيلك حد من الاعيان يتچوز واحدة من البنيتة ومايخلكيش

تچيبي حاجچة واصل وتعيشو مرتاحين كلاتكم دة انتي عندك كنز مدري ايش بجيمتة هو في زي بناتك دة شباب البلد كلاتها يستمنو بس يتچوزو بت ف نص جمالهم

شمايل: امسكي الخشب يا ولية عينك الصفرا دي شيليها من على بناتي منجصينش حسد الله لا يسيجك.

وعندما اصبحوا بجانب والدتهم صاحت بهم قائله بحدة:

- مش جلت جبل سابج تدارو وشكم معيش حد يلمحكم واصل يا بتي.

ابنتها الكبري: ياما الچو حر ومطيجينش الخلجات دي.

شمايل: من هني ورايح مفيش مچي الارض وإن كان علي لجمة الغدا انا هعملها ل روحي جبل الفجر واخدها معايا واني چاية الأرض.

ابنتيها في نفس واحد:

- ياما واحنا عملنا ايه ادينا بنيچي نطمنو عليكي ونشوف البلد بدل حبستنا في الدار ليل نهار.

شمايل: اني جلت اللي عندي من النهاردة مفيش مچي الارض واصل واني

لما اخلص جبل المغرب هاچي واخذكم بيدي نتمشو چمب الترعة نواحي الدار

طاوعها ابنتيها في حديثها قائلين: امرك ياامّا

شمايل: متزعلوش مني يا بنات خايفة عليكم احنا ل حالنا بعد ابوكم ما مات والناس بجت وحشة جوي والف من هيطمع فينا وانتم مبجتوش صغيرين.

البنات: بنزهجوا يا اما من الجعدة في الدار وحدينا.

شمايل: غصب عني يا بنات لجمة العيش صعبة وادِيني بشتغل عشانكم وعشان منمدش يدنا ل للي يسوا واللي ما يسواش اجولكم حاچة كمان لما ارچع هحكيلكم حكاوي زي زمان

صاح ابنتيها في فرحه: ياريت ياما من ساعة ما ابويا مات وانتي مبجتيش تحكيلنا زي زمان.

شمايل: النهاردة هحكيلكم حكاية النداهة اللي بتخطف الرچالة وتاخدهم في دارها تحت الترعة.

ابنتها الصغري بحماس: بچد ياما طب متتاخريش دة احنا هنستنوكي جدام باب الدار..

غادرت ابنتي شمايل الارض ولم يلاحظوا تلك العيون الصقرية التي كانت تنظر اليهم.

مرت ايام ومازالت شمايل تمنع ابنتيها من الخروج والمجيء لها بطعامها التي كانت تحضره قبل خروجها من المنزل و تحمله معها في "البهجة" وهي قطعة قماش تضع فيها النساء الملابس او اى متعلقات وتربطهم كالحقيبة لتتمكن من حملها بسهولة ثم تذهب الى الارض حتى يأتي موعد الغداء ثم تتناولهم.. بادرت عديلة التي لاحظت عدم مجيئهم متسائلة:

- خير يا شمايل البنيتة مبقاش ياچو الارض ليه هما فيهم حاچة عفشة حاكم اليومين دول المرض بياكل ف البلد كييف النار؟

شمايل: لاااه الحمدلله البنيتة زينين ياكش بس أنى اللي منعتهم م الخروچ م الدار لحد ما ارچع م الارض.

عديلة: ليه كدي يا اختي دي حتي بناتك زي البلسم ومفيش في طيبتهم ما يتخير وش عنيكي واصل.

شمايل: تسلمي يا حبيبتي بس اني خايفة عليهم ما انتي خابرة من يوم ما مات المرحوم ابوهم وعمهم اكل ورثهم داهية تاخدو وأكل مال اليتيم وادينا

عايشين واني شغالة ويدوب بچيبلهم اللجمة اللي ياكولها والحمد لله مستورة بس الناس كييف الديابة واخاف حد يتعرضلهم ولا يضايجهم من ولاد بلدنا

عديلة: يا اختي عليكي وعلي خوفك دي البنيتة يعني حلوين وجمرات بس ما تحبسيهومش ف الدار كدة يطهجو يا اختي لازم تروحي عنيهم هبابة.

شمايل: والله يا عديلة يا اختي بعد ما بخلص الارض بروح حيلي مهدود الميغرب وباخدهم امشيهم نواحي الترعة كدي نجعد هبابة واول ما الشمس تروح خالص والليل يدخل برچعهم الدار.

عديلة: خلاص يا اختي طالما كدي مرتاحة يبجي زين المهم خلي بالك من صحتك عمالة تهلكي روحك ف الارض كأيوانها بتاعة ابوكي اشحال ان مكنش البية بيدينا يومية كيف التراب وأجل من كل البلاد اللي حوالينا واحنا راضيين وساكتين عشان هو البيه صاحب الاراضي والاطيان واحنا طوع امرة يا بت.

شمايل: أنى براعي ربنا ف رزج عيالي وبشتغل علي جد ما اجدر وما بوفرش صحتي حاكم اللي يتكاسل عن الشغل ربنا يبتليه بالتعب صوح.

في اليوم التالي عادت الى منزلها ولم تجد ابنتيها ينتظرونها كـ حال كل يوم فتقدمت ونظرت باستغراب حينما وجدت الباب شبه مغلق.. فخمنت انهم

يلعبون بالداخل تاركين الباب خلفهم لعلمهم بمجيئها تقدمت اكثر للداخل وهي منقبضه القلب لشعورها بوجود شيء ما خاطئ وصدق حدسها حينما دخلت الغرفة ووجدت بناتها غارقين في دمائهم فاقتربت منها محاوله ان تعرف اذا ما كانوا على قيد الحياة ام لا لكنها وجدتهم فارقوا الحياه فصرخت صرخه من اعماق قلبها.. جعلت جيرانها يجتمون حولها محاولين تهدئتها وهي تقاومهم من لـ الوصول الى بناتها ولكن خفت مقاومتها حين لمحت شيء ما ملقي علي الارض ف اقتربت منه و تناولته بسرعه مخفيه اياه في ملابسها دون ان يراها احد

***

ابلغ العمده المركز الذي أرسل قوه للتحقيق في تلك الجريمة فاتي ضابط محدثا شمايل قائلا لها:

- تتهمي مين يا ست ف قتل بناتك؟

شمايل: مفيش يا بيه.

الضابط: هل في بينك وبين اي حد عداوة سابقة؟

شمايل: مفيش يا بيه.

الضابط: هل حصل بينك وبين اي حد مشادة او خناقة ف الايام الاخيرة؟

شمايل: مفيش يا بيه.

الضابط: العمدة بلغني ان حصل بينك وبين أخو المرحوم جوزك مشاكل علي الميراث لانة اخد حق بناتك ومدكوش اي حاجة.

شمايل: مصارين البطن بتتعارك يا بية واحنا مهما كان أهل بردك ودول لحمو

الضابط: اتكلمي يا ست ومتخافيش من حاجة محدش هيقدر يعملك اي حاجة احنا هنحميكي ونجبلك حق بناتك بس قولي اي حاجة تعرفيها.

شمايل: الحامي هو الله يا بية وان كان على حج البنات ف الله وحدة هيچيب حجهم.

الضابط: لو انتي عارفة القاتل او شاكة ف حد قولي محدش هيقدر ياخد بتارك انتي على حسب مافهمت من العمدة ست وحدانية واخو جوزك مالوش علاقة بيكم.

شمايل: كأيوانك لسه متعين چديد حدانا يا بية وما تعرفش ان الست فالصعيد

ب ١٠٠ راچل وان الطار لو مفيش راچل ياخدة ف الست حدانا تجوم بألف رجل ولا يهمها.

الضابط: يعني انتي بتعترفي أنك عارفة القاتل وناوية على الاخد بالطار؟

شمايل:: لاااه يا بية انا برد علي حديتك لما انت بتجول محداكيش راجل ياخد بالطار.. لكن اني معرفاش مين اللي عملها والا كان زماني نهشته بسناني ورميته ديابة الچبل.

الضابط: اقفل المحضر في ساعته وتاريخه مع عمل تحريات للوصول للفاعل.. ست شمايل ياريت تصارحيني وانا هساعدك اللي عمل الجريمة دي لازم يتعاقب.

شمايل: آعجاب الخالج اجوي واشد من عجاب الخلج.. فتك بعافية يا بية البنيتة لازم يدفنو وحكيم الصحة طلع التصريح بالدفن..

تمت اجراءات الدفن وقامت شمايل بدفن بناتها عائده الى منزلها مغلقه بابها خلفها رافضه استقبال اي من النساء الأتيين لتعزيتها

***

في اليوم التالي

ذهبت شمايل الى عملها مرتديه ملابس العمل غير مبالية بنظرات الاستغراب التي ترمقها بها النساء حتى وصلت الى موزع الانفار متسائلة عن الأرض التي ستعمل بها فنظر إليها هو الاخر باستغراب لعلمه بما حدث كباقي أهل البلد لكنه دلها على الأرض التي ستعمل بها التي كانت تعمل بها ايضا وصديقتها عديله والتي ما أنا رأيتها تقترب حتى اقتربت منها هي الأخرى قائلة:

- ملكيش حج يا اختي ازاي تنزلي ف يوم زاي دي وكمان چينالك انا والحريم عشية وفضلنا نندة ونخبط عليكي مردتيش علينا ولا فتحتي باب الدار ليه كدي يا اختي ده انا عديلة حبيبتك واختك وان مكتش اني اجف چارك مين يجف.

شمايل: معلش يا اختي اللي حصل مش جليل واني من التعب محستش بحالي و وجعت من طولي في الدار ومحستش بروحي غير مع طلعة الشمس..

عديلة: ربنا يجويكي يا حبيبتي ويرحم البنيتة والله ما كانوا يستاهلون اللي حوصل دية ربنا يتولاهم برحمته ويصبرك يا غالية.

شمايل: تعيشي يا عديلة يا اختي.

عديلة: بيجولو انك جلتي للظابط مش هتخدي عزاء وهتاخدي بطار بناتك وأنك خابرة مين اللي عملها؟

شمايل: كدب يا اختي انا زي ما قلتلك ليلة عشية وجعت من طولي عشان كدي مستجبلتش الحريم ف الدار لما نخلص شغل الارض اني همشي بدري وافتح الدار استنا الحريم وانتي خلصي وتعالي يا ختي.

عديلة: ماشي يا شمايل اول ما اخلص شغل الارض هچيلك طوالي يا اختي احنا بردو خوات ومالناش الا بعض انتي مش صاحبتي بس يا بت دة انت زيك زيك اختي تمام.

شمايل: خابرة زين يا عديلة وربنا وحدة يعلم باللي في الجلب.

اخر اليوم استأذنت شمايل قبل موعيد رحيلها بساعه من موزع الانفار لكنه سمح لها بالذهاب لعلمه بظروفها.. كما انهت عديله عملها ثم ذهبت الى شمايل في منزلها ووجدت الباب شبه مغلق ولم يوجد أحد فدفعته وهي تنادي علي شمايل ثم شعرت بعدها بخبطه قويه على راسها وحينما أفاقت وجدت نفسها مقيدة الايدي والرجلين على مقعد وموضوع على فمها لاصق يمنعها من الحديث مرتدية ملابس غير التي اتت بها وحينما دققت وجدتها ملابس العمل التابعة لشمايل..

دلفت شمايل الى الغرفه قائله:

- صح النوم يا عديلة زين انك فوجتي كنت چاية افوجك.

اخذت عديله تهمهم بصوت مكتوم محاولة الحديث لكن يمنعها اللاصق الموضوع على فمها.

شمايل: بصي يا عديلة قدامك حل من التنين يا تجوليلي عملتي كدي لية ف بناتي يا هجتلك وسرك يروح معاكي ونتجابلو ف الاخرة يا حبيبتي..

اخذت عديله تتلوى محاولة الفكاك من براثن شمايل

شمايل: ماتحاوليش اني رابطاكي كييف ما المرحوم چوزي علمني ما انتي خابرة بجا كان ف الچيهادية.

امسكت شمايل السكين وهي تقربها من وجه عديله قائله:

- اني هفك خشمك وحسك عينك صوتك يطلع والا هجتلك وعليا وعلي اعدائي انا مبجياش على حاچة في الدنيا بعد بناتي اللي خدتيهم مني.

وضعت شمايل السكين على رقبه تعديله ثم اقتربت منها قائله بتهديد: هاا يا عديلة هتجولي جتلتيهم لية واخلص عليكي ل حالك ولا اجتلك دلوك وبعدها

أخلص علي طوزك و ولدك الصغيير واهو ينوسوكي في تربتك دة لو لجيتيلك تربة تشيلك؟

عديلة بصوت خائف: والله يا شمايل أنى مجتلت بناتك ولا لمست شعرة مينيهم.

شمايل: طب ومنديلك دية كان بيعمل ايه في داري ميش دية منديل راسك بردو يا عديلة ولا اني هتوه عنية انطجي والا جسما عظما هروح اچيب ولدك دلوك واجتلة جدام عينك عشان تيعرفي حرجة الضنة.

عديلة: لا والنبي اني هجولك علي كل حاچة.

شمايل: زين يا عديلة انطجي ومتلوعينيش في الحديت اديكي واعية وخبرة اني هعمل ايه لو لچيتك بتلوعيني.

عديلة: اني مجتلتش البنيتة والله العظيم ما حوصل اني هجولك الحكاية من اولها.. اني بشتغل ف الارض معاكي زي بجية الحريم و ناظر الارض بتاعة البيت بيچيني يجولي الحورمة فلانة عايزك تتحدتي معاها عايزها الليلة وهديها جرشين زين وبيديني اني كمان جرشين يبشبشو العيشة علينا اني وچوزي و ولدي والحريم فيهم اللي بتجبل وفيهم اللي بترفض واللي بترفض

بيجطع عيشها من الارض وماتلجيش تاكلي او تشتغل ف حتة ف بترچع وتوافج على اللي جولتلها علية وتروح ل ناظر الارض.

شمايل: واني ايه دخل بناتي بالحديت دية انطجي عملولك اية البنيتة عشان تجتليهم وبلاها لوع الحديت؟

عديلة:وهجولك والله يا شمايل.

#كلاب-جائعة

فلاش باك..

ناظر الارض: بت يا عديلة خدي هني يا بت مين البنيتة الحلوين دول اللي كانو واجفين معاكي انتي والبت شمايل؟

عديلة: دول بنات شمايل يا سي الناظر.

ناظر الارض: طيب خدي دول وشوفيلك صرفة اني عايزهم في ظرف يومين.

عديلة: ازاي بس دة لا ممكن ابدا دول بنتة صغار ومايعرفوش حاچة وهيفضحونا سبني بس الليلة وبكرة هكون چيبالك ست الستات اللي تعچبك وتملا مزاجك.

ناظر الارض: البنتة دول يا عديلة يا اما مالكيش عيش حدانا وتسيبي البلد كلاتها عشان اني هجول عليكي مرة خاينة وعرضتي نفسك عليا عشان ازود اچرتك واني رفضت ومشيتك م الارض.

عديلة: حرام عليك يا سي الناظر اني معملتش حاچة.

ناظر الارض: وهو اللي بنعملة دة حلال يا بت فوجي ل روحك واسمعي الحديت ومعاكي يومين تدبري فيهم حالك وتچبيلي البنتة لحد الدار الشرجية.

عديلة: حاضر يا سي الناظر اللي تؤمر بية.

ناظر الارض: ايووة كدي يا عديلة خليكي واعية وعارفة مصلحتك زين.

باك..

عديلة: وبعدها مكتش عارفة اعمل ايه البنتة مالهمش ف حاچة واصل هما صحيح شكلهم وجسمهم خراط البنات مزود فية الحلاوة بس لسة صغار ومدريانيش بالدنيا واللي فيها ولما ملجتش حل روحتلة وجلتلة مابيخرچوش م الدار جالي خلاص تروحيلهم وتجعدي معاهم وتسجيهم الدواء دة ف اي حاچة هينامو مش هيحسو بحاچة واني هخلص واخرچ طوالي ولا من شاف ولا من دري .

شمايل: كملي يا عديلة اتخرستي ليه جوليلي حوصل اية يا واكلة ناسك عشان الجروش يا عديمة الشرف؟

عديلة: چيت للبنتة هني وانتي كنتي شغال ف محصول تاني مش معايا ف الارض والناظر اللي وزعك كدي عشان ماتشوفينيش وچيت للبنتة الدار وفتحولي وجعدت معاهم وشربتهم الدوا ف شربات چبتة معايا ولما لجيتهم نامو خرچت لجيت الناظر واجف بعيد سبت باب الدار موارب ومشيت علي داري طوالي وبعدها سمعت الخبر ان البنتة اتجتلو.

شمايل: يعني ناظر الارض هو اللي جتل بناتي يا عديلة؟

عديلة: اي والله يا شمايل واني والله ما چيت جارهم وسبتهم سولام.

شمايل: سلمتيهم ل ضبع خسيس وتجوليلي سبتهم سولام يا عديلة اني معهملش زيك واجتل ولدك بس اللي زيك مش لازم يعيش عشان مايذيكش تاني انتي اللي زيك مكانة جهنم وكفاياكي لحد كدي..

عديلة: ابوس يدك ارحمييني يا شمايل اني مجتلتش بناتك.. ابوس يدك سبيني اعيش واربي ولدي واني هسيب البلد كلاتها.

شمايل: الديبة صحيت يا عديلة ومهترحمش حد جتل عيالها.

وفجأه ضربت شمايل عديلة بشيء ثقيل ادي الي فقدانها الوعي

.. ثم دخلت الى غرفتها واحضرت دلو يوجد به سمك في ماء ثم قربت الدلو من راس عديله واسقطت وجهها فيها تاركا السمك يدخل اسنانه في وجهها وظلت هكذا لمده ساعه كامله حتى تشوه وجه عديله بالكامل.. ثم

اغرقته بماء وملح حتى تختفي معالم وجهها..

انتظرت شمايل الى اخر الليل واحضرت حمارا وضعت عليه عديله بعد ما القتها داخل حصيره ثم ذهبت بها الى الترعة وقامت بالقائها على الشاطئ فجرفتها المياه فيتبين للرائي أنها ليس بفعل فاعل

***

صباحًا

اجتمعت الناس حول جثمان عديله الغير ظاهر الملامح وكان من ضمنهم بعض النسوة اللاتي تعرفن على ملابس شمايل التي ترتديها عديله فقالوا مؤكدين شمايل وانها القت بنفسها بعد ما حدث الي بناتها ولم يتعرف أحد على عديله نظرا لتقارب التكوين الجسماني بينهم.

ليلاً..

كان ناظر الارض عائدا وهو يترنح في مشيته دليلا على أنها غير واعٍ.. وبمجرد ان فتح بابه منزله شعر بأحد يكتم انفاسه ولم يشعر بنفسه الا حينما فتح عيناه ووجد نفسه مقيدا على مقعد موضوع داخل فمه قماشه تمنعه من الحديث.

شمايل: نهشت لحمي ليه وجتلت بناتي ودبحتهم كيف الفراخ اللي مالهاش صاحب.

حاول ناظر الارض المقاومه والفرار بنفسه لكن لم يعرف حيث ان شمايل كانت قيدتة بقوة

شمايل: اني هفك خشمك وحسك عينك صوتك يعلي والا هجطع لسانك وارمية للكلاب.

الناظر: انتي غرجتي في الترعة انتي عفريتة انتي عايزة مني ايه اني معملتش حاچة واصل؟

شمايل: ما عفريت الا بني ادم.. عديلة جالت لي على كل حاچة. وان انتا اللي جتلت بناتي بعد ما نهشت شرفي يا خسيس.

الناظر: كدابة اني مجتلتش حد ولا جربت ناحية بناتك من اساسة.

شمايل: عليا اني الحديت دة يا چبان انطق بجولك عديلة جالت علي النساوين اللي كنت بتديها فلوس وتاخد مزاچك مينيها.. وان انت اللي اتفجت معاها تخدر البنيتة عشان تعمل عملتك يا خسيس..

الناظر: عديلة دي كدابة والله يا شمايل اسمعي الحديت دي والله اني ما جتلت بناتك ولا هوبت يمتهم.

شمايل: اني هجطع لسانك الوسخ دي دلوك علشان انت كلب ولازمن تبجا اخرس زي الكلاب اللي اوسخهم انضف مينيك يا چبان.

اقتربت منه وهي تضع السكين علي عنقه فصرخ الناظر بهلع قائلا:

- استني ابوس يدك يا شمايل اني هجولك.

شمايل: زين شوفت بجا انك هتسمع الحديت خليك كيف الكلب المطيع وجول الحجيجة عشان اني مهجتلكش الا لما اسمع منيك كل حاچة.

الناظر: اني مهوبتش يمة بناتك ولا جتلتهم اني كل اللي بعملة ان بشكاتب البية بيجيلي يجولي عايز البت فلانة ف بخلي عديلة تچيبها بالفلوس من غير ما اعرفها ان البشكاتب هو اللي عايزها و عديلة بتخليهم يوافجو واللي ما

توافجش بنجطع عيشها ونمشيها من الارض وكلاتهم بياچو الدار الشرجية بس المرة دي البشكاتب طلب بناتك واني مجدرش اجولة لااه وفضلت ازن علي عديلة لحد ما اديتها الدوا وهي راحتلهم الدار واني كنتي مستنيها برة و اول ما خرجت وشاروتلي روحت للباشكاتب جلتلة ومشيت علي الارض ومعرفش حاچة واصل ومكتش اعريف انة هيجتلهم..

شمايل: يعني انت كمان مجتلتلش بناتي وعديلة مجتلتهمش ودلوك انتا بتجولي الباشكاتب؟

الناظر: جسما بالله هو دية اللي حوصل يا شمايل.

شمايل: اخرس ما تذكرش ربنا على لسانك النجس دي يا خسيس.

ضربته شمايل على راسه ضربه أدت الى فقدانه للوعي ووضعته في حصيره وحملتة فوق حمار وذهبت الى الترعة والقته بها ولم ترحل الا حينما تاكدت انه غرق ثم تحركت متوجها الى منزل الباشكاتب حتى تستكمل باقي انتقامها.

في منزل الباشكاتب قبل الفجر..

كان نائم في سريره ثم فتح عيناه وجد السكين موضوع على رقبته وشمايل

تنظر اليه حاول القيام لكنها قامت بتشديد يدها على السكين في اشاره واضحه له فهدأ وجلس مكانه.. لكنه نظر اليها قائلا بحده:

- انتي مين وعايزة اية يا ست انتي؟.

شمايل: اني النداهة اللي هتخلص عليكم كلاتكم واحد خسيس والتاني ضبع بينههش عرض الولايا واخرة المتمة جتل بناتي بعد ما نهش عرضهم.. عايز تعريف اني مين.. اني الديبة االي جتلتو عيالها انت والناظر وعديلة ودلوك وجت الحساب.

الباشكاتب: انا معرفش انتي بتتكلمي عن ايه يا ست انتي امشي اطلعي برة احسن ما احبسك انا باشاكاتب البيت يعني مش قليل ف بلدكم دي ف لو جاية تسرقي حاجة احسنلك امشي من سكات.

شمايل: لااه صدجتك اني كدي وخلاص هاخد حالي وامشي من هني.. انجك يا ولد المحروج انت اللي نهشت بناتي وجتلتهم ولاا لاااه؟

الباشكاتب: بناتك مين يا ست يا مجنونة انتي انا معرفش انتي بتتكلمي عن ايه.

شمايل: حيث كدي بجا يبجا لازم تحصل الناظر في جعر الترعة مطرح

مهو متلجح واهو هو يجولك بنات مين يا خسيس..

البشكاتب: انتي قتلتي ناظر الارض؟؟

شمايل: هو وعديلة كمان.. ودلوك هيكون دورك لو منطجطش لكن لو نطجت هسلمك للميركز وهما يتصرفو وياك و وادي كلمتي اني مش هجتلك دلوك بس جولي الحجيجة والا جسما بالله هجطعك و اكبر حتة فيك هتكون اصغر من صابع يدي الصغير.

نظر اليها الباشكاتب بتفكير وحسب حسبته ووجد انه من الافضل ان يتكلم ثم تسلمه بعدها الى المركز وحينها سيخرج.

ولم يقدروا على محاكمته لانه على علم اليقين ان البيه لن يتخلى عنه ولن يدعهم يفعلوا معه شيئا.

شمايل: انطوج السمس جربت تطلع.

البشكاتب: انا معملتش حاجة ف بناتك انا كنت بساعد البيت بس وهو اللي اعتدي على بناتك وانا كنت معاة ف البيت بس البنات فاقو اول ما البية خلاص هيمشي وشافوة في مكنش قدامة حل غير انة يقتلهم علشان مايتفضحش ف البلد.

شمايل: يعني انتا عايز تجولي ان البيت هو اللي ورا كل دية وان هو اللي جتل بناتي بعد ما نهش شرفهم؟

البشكاتب: اة والله يا ست وانا مكنتش عارف اعمل اية.

شمايل: وهو البية شاف بناتي فين؟

البشكاتب: ف الارض كنا واقفين سوا ف شافهم وعجبوة اووي ف شاورلي عليهم وانا روحت للناظر علشان يجبهم للبية زي ما بيجب الحريم وهو مفكر انهم ليا انا عشان البيبة مايظهرش في الصورة اي ست بتعجبة بينولها مهما كان.

شمايل: وانت سكت ليه هو مش الساكت عن الحج شيطان اخرس بردو يا بتاع المدارس؟

البشكاتب: هو هددني لو اتكلمت هيخليني احصلهم بس طالما هتبلغي المركز يبقا هما هيحموني منة.

شمايل: لا مؤاخذة يا حضرة البشكاتب ميركز اية اللي هتجولة علية دي؟

البشكاتب: انتي مش وعدتيني هتبلغي المركز وتسلميني ليهم؟

شمايل: مرحب بيك ف الصعيد يا بتاع مصر هني مفيش طار بيجيبوة الميركز احنا بناخد طارنا بيدنا واني حورمة بس الله في سماة م هخلي راجل نهش لحم بناتي وسيح دمهم يعيش ولازمن اخد بطارهم من كل اللي مد يدة ف العملة دي.

البشكاتب: بس انا مقتلتهمش ولا لمستهم.. البية هو اللي عمل كل حاجة انا كنت مجرد ستارة بيستخبي وراها..

شمايل: متجلجلش يا حضرة البشكاتب البية هيحصلك جريب وابجو اتصافو كلاتكم مع بعضيكم ف چهنم.

الشكاتب: لو فاكرة انك هتقدري توصلي للبية تبقي غلطانة..البية محاوط القصر بتاعة رجالة كتير مستحيل تقدري تعديهم ولما يعرف بموتي انا والناظر هيشك ان في حاجة غلط وهيزود الحراسة.. بلاش تقتليني وسلميني للمركز انتي طارك مع البية مش معايا.

شمايل: الطار من كل من مد يدة ف العملة دي كأيوانك يعني كت مع البية في داري ومكتش ناوي تعمل حاچة انتم شركاء واكيد كنت ناوي تنهش بناتي لولاا هو سبجك وجتلهم دة لو مكتش نهشتهم جبلية واني مهعرفش الحجيجة

ولا عايزة اعريفها اللي اعرفة أنك هتموت دلوك والبية بتاعك هيحصلك جريب انت والناظر وعديلة.

فعلت شمايل معه كما فعلت مع الناظر و ضربته على راسه وفقد الوعي حملته والقته في الترعه ليكون مصيره كمصير الناظر..

بعد عده ايام

ظهر جثمان الناظر ومن بعده ده جثمان الباشكاتب واصبحت سيرتهم محور الحديث ليلا ونهارا واصبحت النداهه اسطوره يتحاكي بها الناس ويخاف منها الكبار قبل الصغار.

علم البيه بما حدث و علم ان هناك شيئا خاطئ يحدث فدب القلق بقلبه وامر بزياده الحراسة على قصره.

مرت ايام وهدأت الاوضاع في البلد.. لكن اصبح الناس يخافون فكره الاقتراب من الترعة وتجنبوا الذهاب اليها وخصوصا ليلا..

وفي يوم عاد البيه من مصر متاخرًا، شبه غائب عن الوعي نظرا لما تناوله من خمور لكنه افاق حينما وجد فرع شجره كبير موضوع على الطريق امام السيارة وهبط منها ليري ماذا يحدث ليشعر بوجود سكين في ظهره

شمايل: مرحب بالبيت اللي مزاجه ف اي حته سواء مصر او الصعيد مايهموش ما كلاتنا عبيد عندية وخدامين رجلية.

البية: انتي مين يا ولية وعايزة ايه انا البيه صاحب البلد دي كلها؟؟

شمايل: صاحب النفوس ربنا يا بية انت حياله تملك الارض لكن متملكش النفس اللي خلجها ربنا.

البية: عايزة ايه يا ولية احسن ما اقتلك هنا ومحدش يعرفلك طريق.

شمايل: اني اللي هجتلك هني زي ما جتلت بناتي بعد ما نهشت شرفهم.

البية: بنات مين اللي قتلتهم يا ولية يا مهبوشة انتي؟

شمايل: لف بوشك وبصلي يا بية وانت تعريف بنات اية.

دار البيه فجأه ثم اخرج سلاحه بسرعة ووجه رصاصه ناحية شمايل إصابة كتفها وفقدت توازنها ملقاه علي الارض

البيت: دلوقتي افتكرت بناتك كانو حلوين زيك واستمتعت بيها اووي حظهم أن مفعول المخدر خلص وصحيت قبل ما امشى في كان لازم اخلص منهم زي ما هخلص منك دلوقتي وينتهي الموضوع.. دلوقتي اتاكدت ان الناظر و البشكاتب ماتوا مقتولين مش غرقانين ولا النداهة ندهتهم زي ما اهل البلد

قالو.. بس مكنتش قادر اعرف اللي حصل ولا اعرف مين قتلهم.. بس برافو عليكم عمليتها من غير ولا دليل عليكي ودلوقتي جة دورك علشان تموتي وبردو هرمي جتتك ف الترعة طالما بتحبيها اووي كدة.

زحفت شمايل بعيدا محاولة النجاه بنفسها هو يقترب منها لكنه تفاجئ بها تلقي سكين ناحيته فعلم الان أنها كانت تزحف حتى تصل اليه لكنه لم يرها بسبب سوء الاضاءه وفي نفس اللحظة التي استقرت بها السكين في بطنه جاء صوت طلقه مرت من جانب شمايل.. التي شعرت بالراحه بعدما انتقمت لبناتها فاغمضت عيناها ثم فقدت وعيها

فتحت شمايل عينيها وجدت نفسها نائمه واحد داوي جرحها وتوجد في مكان يشبه المغاره ومليء بالحجاره فسالت نفسها:

- اني فين واية اللي چبني هني؟

اتي رجلا من بعيد قائلا باطمئنان: انتي ف الچبل واطمني محدش كشف حاچة فيكي اللي طيب چرحك واحدة من حريمنا هني.

شمايل:: اني هني لية؟ وانتا مين؟ وعايز مني ايه؟

الرجل: اني سباعي كبير المطاريد.. وكت ماشي اني ورچالتي بالحصنة

وسمعنا ضرب النار في چينا ناحيتة ع بصحيح بس ب ١٠٠ راچل..

شمايل: اني عايزة امشي من هني.

سباعي: تمشي تروحي فين البلد كلاتها مجلوبها انتي خلاص هتعيشي هني معانا.. مجولتليش نندهولك ب اية اني معريفش اسمك لحد دلوك؟؟

شمايل: الديبة.. ديبة الچبل

حسناً أترى؟.. حان دوري الآن، سوف أتركك وأعود لك في أي وقت لاحق فلا تتعجل مجيئي قد آتي إليك في أي وقت وعليك أن تتفرغ لرحلتك معي؛ لأنك ستسمتع معي كثيراً وستتعلم مني كثيراً.. تسألني من أنا؟

أنا ولهان حارس الاسرار إلى اللقاء يا عزيزي في حكايات واسرار جديدة

***